يورغوس سكورتيس

السلفة

الشخصيات

بروكوبيو
رئيس المستخدمين
أناستاسيو (الثاني)
أحد العاملين

(غرفة مكتب . بها ثلاثة مكاتب صغيرة . الموظفان الأول والثاني جالسان إلى مكتبيهما ومنهمكان في العمل . بعد قليل يدخل السيد بروكوبيو)

بروكوبيو : (بلهجة ودود للغاية) صباح الخير ، يا أولاد . كيف الحال ؟

الثاني : (سيظل محتفظا على الدوام بموقف المنافق) صباح الخير .

الأول : (عكر المزاج . أميل إلى الهجومية) صباح الخير .

بروكوبيو : (مستاء من اللهجة التي يحدثه بها كل من زميليه . يتوقف لحظة . ثم يمضي إلى مكتبه ناظر إليهما مستاء شاكيا) .

هل أستطيع أن أعرف لماذا تتحدثان إليّ على هذا النحو ؟

الأول : ماذا تعني بذلك ؟ وهل نتحدث إليك على نحو غير عادي ؟ ماذا تقول ؟

الثاني : لست أدري ، بالله .

بروكوبيو : لهجتكما غريبة إلى حد ما ! بالطبع ، قد أكون قد خيل إليّ ذلك .

الثاني : هيا ، يا سيد بروكوبيو . لا تعر الأمر كل هذا الاهتمام .

بروكوبيو : كلا . إني أعيره كل الاهتمام ! .

الأول : قلت « صباح الخير » قلنا « صباح الخير » ولم نقل شيئا غير ذلك استتام الأمر الآن ؟

بروكوبيو : (يخفي استياءه) ربما أكون قد خيل إلى شئ آخر وإن كنت لا أعتقد ذلك . أفهم جيدا كيف يتحدثون إلى الآخرين ، وعلى الأخص هذه الآونة الأخيرة .

الأول : (ناظرا إلى الاخر نظرة ذات مغزى) ماذا يعني ؟

بروكوبيو : تعرف جيدا ماذا أعني !

الأول : (إلى الثانى) لعلك تفهم أنت ، يا بروسوبارخيس .

الثانى : هيا ، ياسيدى بروكوبيو ، هيا .. التبس عليك الأمر فحسب ، وأسأت الظن .

بروكوبيو : ياسيد تكتب كلمة واحدة ، لا أحد يستطيع أن يضحك علىّ ! أنا رئيسكم ! (إلى الأول) وأنت ، أسمع جيدا ، إنى أبقى جبينى ناصعا ، وأرفع رأسى على الدوام عاليا . فاهم ؟

الأول : ما الذى جعلك على هذا النحو ثائرا ؟ بالله قل لىّ . هل لدغك عقرب ، أم ذبابة ، أم نحلة ، أم ماذا ؟

بروكوبيو : أنتما لدغتمانى ! توشكان أن تفقدانى عقلى وصوابى .. هل لديكما شئ ضدى ؟ أريد أن أعرف ! هل آذيتكما فى شئ قط ؟ إذن ، إذن ، لماذا تعذبانى ؟ هيه ، لماذا ؟

الثانى : حاشى الله ، ياسيد بروكوبيو ، حاشى الله ..

بروكوبيو : (مواصلا) على الدوام ، تهمهمان بالكلام من وراء ظهرى ! بعد كل هذه السنين التى عملنا فيها سويا ، لم تتبينا حقيقتى ، لم تعرفانى إلا الآن ؟ بعد كل هذه السنين ! كنا على الدوام معا . كنا صحبة واحدة . معا ، نشرب القهوة معا ، نثرثر ونتناقش ، معا نضحك ، ومعا نبكى ، هنا وفى بيتى ، بل وفى بيتكما أيضا . كنا على الدوام صحبة طيبة ! والآن ، أبدو لكما مريبا ؟ تستبد بكما الشكوك فىّ ؟ هل كنت مجرما ، ملوث اليدين ، قذرا ؟

الـثــــــانـى : (إلى الأول) اعـتـذر له ، يا أخى . أرجـوك أطلب منه الصفح عما بدر منك نحوه ، ألا ترى كيف يسئ الظن بكل شئ ، ويأخذ كل كلام على محمل سئ . .

الأول : لم يبدر منى أى شئ يجعلنى أطلب عنه الصفح . هل تسمع ؟ وعلى الأخص لم يبـدر منى أى شئ أعتـذر عنه إلى هذا الشخص بالذات !

بروكـوبيـو : أسمع ، ياصديقى . على أسـوأ الفروض ، كل واحد منا ضـالع فى الأمر على نحـو أو آخر ، متورط فـيه قليلا أو كثيرا . هل تفهم ؟

الأول : اسمع . ليس كل واحـد . هيه ؟ كـلا ، الزم الحدود فى كـلامك . الأننا لا نجاهـرك بالقول ، تسـول لك نفـسك أن تدس بنـا فى ذات الـزكـيـبة القـذرة التى اندسست فيهـا ، وتضعنا فى ذات الزمرة التى تورطت معها ؟

بروكـوبيـو : ماذا عندكما من أتهام توجـهانه إلىّ ، هيه ؟ هيا إجلبا مـا لديكمـا . لماذا تحتـفظان بما عنـدكمـا بينكمـا ، ولاتتـحـدثان عنه إلا من وراء ظـهـرى ! أنا نظيف ، طاهر اليدين! لو لم أكـن كذلك لما ترددوا فى طردى . فاهم ؟

الأول : نجحت بكل بساطه فى البقاء . هذا كل ما فى الأمر !

بروكـوبيـو : ماذا ؟ أنا ؟ أنا نجحت . . ماذا تقول ؟ أنت كذاب !

الـثــــــانـى : ياسيـد بروكوبيـو ، أرجوك . . اهدأ (إلى الأول) كفى يابروسوبارخيس . كفى !

الأول : ألا ترى . . ألا ترى ماذا يقول ؟

بروكـوبيـو : كنت من الاوائل ، أنا ، تذكر ذلك جـيدا . كنت من الأوائل الذين خـوجـوا إلى الشـوارع وصـرخـوا ، وصرخنا بما فى أعماقنا .

الـثـــانـي : أريد أن أدلي بتعليق فى هذا المقام ، ياسيد بروكوبيو ، أننا لم نكن نعرف شيئا بالنسبة لكثيرين،ثم فجأة . . .

بروكـوبيـو : ثم ماذا ؟ ثم فجأة ماذا ؟

الـثـــانـي : هيـه ، يعنى ، عـرفنا عن البـعض هذا وعن البـعض الآخر ذلك .

بروكـوبيـو : هذا مـا أقـوله أنـا أيضـا . لماذا إذن وجـدتما فى ضالتكما. من ذلك الداعر الذى يشيع هذه القاذورات؟ لماذا أضـحى أنا الهـدف الذى يتلقى سـياط الستكم السليطة ؟ أنا أيضـا موظف مثلكمـا . وأنا أيضا كنت أحنى رأسى مثلما كنتما أنـتما تحنيانه . ألأننى حصلت على سلفـة ؟ سلفـة صغـيرة كـى أبنى بدورى بيتـا ! سنوات طوال سعيت لذلك ولهـثت جريا وراءه ! أنتما شاهدان على أننى حـتى قبل تعـديل الأوضاع ، كنت أطلب سلفة ، ولكن بلاجدوى .

الأول : (بسخرية) تعديل الأوضاع ، هيه ؟

بروكـوبيـو : تعرف جيدا ماذا أعنى .

الأول : آه . . .

بروكـوبيـو : ولوكنت تذكـر ، أنت أيـضا كـنت تقـول عنهـا آنذاك الحركة المباركة .

الأول : كان الأمر مختلفا آنذاك . . .

بروكـوبيـو : ولو لم أكن مخطئا ، أنت أيضا قدمت طلبا كى تحصل على سلفة نعم ، أم لا ؟

الأول : نعم ، ولكن طلبى أنا رفض .

بروكـوبيـو : ذلك لأنك أصغر مني سنا ! ذلك لأنى كنت أحوج منك إلى سلفة . ثم إنهم إذا كانوا قد رفضوا طلبك أنت ، وأجابونى أنا إلى طلبى فأى غضاضة فى ذلك ، هيه ؟

الأول : لا أعرف أنا . وكيف تريدنى أن أعرف ؟

بروكـوبيـو : هل يعنى ذلك أننى كنت مواليا لهم وأنت لا ؟

الأول : أقول لك دعنى وشأنى . . أتسمع ؟

بروكـوبيـو : كلا ، لن أدعك وشأنك ! أنكما قد أحلتما حياتى إلى جحيم ! لم أعد أستطيع أن ، لم أعد أستطيع أن ألتفت إلى عملى ! لم أعد أستطيع أن أضحك ! ماعدت أستطيع أن أبنى بيتى ! تسول لى نفسى أن أهدمه من أساسه ! أصبحت على شفا الجنون !

الثـانى : ياسيد بروكوبيو . . الا تظن أنك قد تجاوزت حدودك ، وتماديت ؟ وأنك تعذب نفسك سدى ! وأن كل ما تقوله هو من صنع خيالك فحسب ؟

بروكـوبيـو : أشكرك ياسيد أناستاسيو . تقف إلى جانبى حقا ، وكنت لى نعم الزميل والصديق ، ولكن نحن أمام افتراءات ، أمام أحداث تفتعل لغرض سقيم . من هم أولئك الذين يروجون هذه الافتراءات ، ولماذا يروجونها ؟ لماذا ؟ لماذا هم إلى هذا الحد يكرهوننى ؟

الثـــانـى : هيا ، هيا دعك من ذلك . لاتعر الأمر اكتراثا .

بروكــوبيــو : لا أعير الأمر اكتراثًا ؟ ! وكـيف أستطيع ألا أعير الأمر اكتـراثا ، مادمت منذ اللحظة التى أعلـن فيهـا اسمى تمنيت ألا يكون لى على الإطلاق اسم ؟

الأول : ولمـاذا تأخذ الأمور بهـذه الحساسيـة . أقصد ، لوأنك نظيف اليـدين ، كـما تقـول ، فلماذا تعـذب نفسك هكذا ؟

بروكــوبيــو : لأننى حيى ! لأننى نظيـف ! واى نظيف طاهر اليدين أنا ! ولكنكما بالطبـع وجدتما الآن ضالتكما ، عـثرتما على الضحية . وجدتم الثور ، وانقضضتم عليه جميعا كى تدمروه تـدميرا . وأنت مـاذا فعلت ، ياسـيدى ؟ كنت تعمل ، أم أنك لم تكن تعمل ؟ تقـاضيت مبلغاً من هؤلاء أجل أم لا ؟ أجب .

الأول : لست فى صوابك ، على ما يبدو . كنت لا تريدنى أن أعمل ؟

بروكــوبيــو : كـلا ! كـان يجب أن تعـتـرض ، تـناوئ : لوتوقف الجميع عن العـمل ، لو لزم الجميع بيوتهـم حتى يوما واحدا ، كان هؤلاء الناس سوف يسقطون . ودعنى لا أقول لك أن الأموال التى كنت تتقاضاها كانت أموالهم هم .

الأول : أنت تخطئ فى ذلك . الأموال كانت للمواطنين دافعى الضرائب .

بروكــوبيــو : والسلفة ، إذن ، أموال من هى ، هيه ؟

الأول : تقصد المنح غير المردودة .

الثـــانـي : دعك من ذلك ، الآن .

بروكـوبيـو : لماذا هـي منح . ألم أقـف بدورى فى الطـابور ؟ ألم أملأ أنا أيضا الطلبات اللازمة؟ألا أدفع الأقساط، أنا ؟ أم تظن أننى أخذت أكثر مما هو جائز؟هيه؟قل لى. الحق إنى أخذت أقل. أهى منح لأنهـا لم تعط لك ، هيه ؟ وماذا فعلت أنت كى تعتبـر أنك عارضتهم فأبوا عليك السلفـة ؟ هيـه ؟ لا شئ . ظلـلت تعـمل . واصلت الخضـوع للجدد ، كـما كـنت تخـضع للقـدامى . لـم يتغير موقفك بعد تعديل الأوضاع . هل تريدنى أن أقـول لــك لمـاذا ؟ لأنك خـفت علـى وظيـفـتك الصغيرة .

الأول : أتعنى ، أنك أنت لم تكن تخاف .

بروكـوبيـو : ومن قال لك شيئا مـثل هذا ؟ كنت أخاف طبعا ، بل وكنت أخاف كثيـرا . . لم أقل قط أننى عارضتهم فى شئ . ولكننى أيضا ، لم أفعل شيئا يؤيدهم . كل ما فى الأمر أننى واصلت الـعمل هنا . مثلكمـا ، ومثل الآلاف من غيرنا لا أعرف مـاذا سوف كنت أفعل لولم تكن لى أسـرة أعـولهـا . ولكـننى فى مـأزقى هذا ، محاصرا بالتزاماتى قبلها،لم أكن بقادر أن أفعل شيئا ! إلاَّ أننى كنت فى قـرارة نفسى على أى حـال أرجو أن يرحلوا عنا بأسرع وقت . . . وأنت تعرف ذلك . معا كا نتكلم . وفيما بيننا كنا نفضى ما فى سرائرنا . . أم

أنك تريد أن تقـول الآن أننا لم نكن نثـرثر بمثل هذا الكلام فيما بيننا ؟ وكيـف تستبيح إذن لنفسك الآن أن تلومنى ؟ كيف تنظران إلىّ مـثلما تنظران إلى أبرص ، يفر الناس منه ويتحاشونه؟تكلما . وفضلا عن ذلك ، فكونى لازلت هنا ، لم أطرد من وظيفتى ، ولـم أركل خارجـا لهو دليل فى صـفى ولصالحى . يـعرف أهل القمة كل شئ . هم مطلعـون على مجريات الأمور . ولاتغيب عنهم بادرة ! يـعرفون أكثـر منكما كثـيرا من خـان ومن لزم الصـمت مضطرا . إن مـلف خدمـتى نظيف ، بل على غاية من النظافة . ناصع !

(يدق جرس التليفون ، على مكتبه ، يرفع السماعة)

آلو . . أجل . . قادم حالا . . (يقفل السكة) ذاهب إلى رئيس المستخدمين . طلبت منه أجـازة قصيرة . . أريد أن أريح أعصابى . أن أهدأ قليلا .

الـثـــانـى : على الرغم من كل شئ ، أعتبرنا صديقين لك . . .

بروكـوبيـو : (يومئ له برأسه عزينا ويخرج)

(يظل الاثنان ساكنين فى العتمة . يأتى رئيس المستخدمين بمنضدته . يضعها فى الطرف الآخر من المسرح ، ويجلس . يمضى بروكوبيوإليه)

رئـيـس المستخدمين : تعال ، يا سيد بروكوبيو . . إجلس .

بروكـوبيـو : (يلهفه) كل شئ على ما يرام ؟

الـرئـيـس : ياسيد بروكوبيو . . .

بروكوبيو : إننى بحاجة إليها . . . أرجوك أن تفهم ذلك . لم أعد أحتمل أكثر من ذلك . سأفقد صوابى !

الرئيس : ياسيد بروكوبيو . . يؤسفنى ذلك ، لدى أخبار غير سارة .

بروكوبيو : (غير فاهم . واجما) غير سارة ؟

الرئيس : طبيعية ، أجل ، ولكن غير سارة . . تلقينا أمرا بإنهاء خدمتك .

بروكوبيو : (مبحوح الصوت . وعلى وشك الانهيار) خدمتى ؟ خدمتى ؟ أنا؟ هذا غير ممكن ! مستحيل ! لابد أن ثمة لبسا فى الأمر . سيدى رئيس المستخدمين، لابد أنك مخطئ . لم أحصل سوى على سلفة بعد أن استوفيت كل الإجراءات المطلوبة . . سلفة من أجل بيتى ! أفنيت عمرا بأكمله من أجل هذا البيت الملعون !

الرئيس : يؤسفنى ذلك ، لكن بصراحة . . القرار صدر نهائيا . .

بروكوبيو : (بغضب مكتوم وشكوى) وأنت ، ماذا قلت ، ياسيدى رئيس المستخدمين ؟ ألم تدافع عنى ، ياسيدى ؟

الرئيس : وماذا أقول ؟ أنت تفهم . . .

بروكوبيو : (يتفجر) وأنت ماذا قلت لهم ياسيدى ؟ ألم تقل لهم أن الحصول على سلفة لايعنى بذاته شيئا ؟ ألم تقل لهم إن مثل هذه السلفة حصل عليها كثيرون ؟ أنت نفسك حصلت على مثل هذه السلفة .

الـرئـيـس : (مرتعبا) هس . هس . من فضلك لاتجأر بالصباح . أخفت صوتك !

بروكـوبيـو : ولكن اسمك أنت لم يدرجوه ! لم يعثروا عليك . أنت ، لم يتوصلوا إليك ، قط ! كيف حدث ذلك ياسيدى رئيس المستخدمين ؟ كيف نجحت فى إخفاء نفسك ، فلم يظهر أسمك فى أى قائمة من القوائم ؟

الـرئـيـس : ياسيد بروكوبيو ! أنك تهدمنى بذلك . تقضى على !

(يسقط بروكوبيو على أحد المقاعد منهارا)

(تعلو الاضاءة فى الناحية الأخرى فيبين الأول والثانى)

الـثـانـى : أتعتقد أنهم سيفصلونه ؟

الأول : ومن أدرانى أنا ؟ إنى اشفق عليه ، المسكين . .

الـثـانـى : آه ، بالطبع !

الأول : وددت أن أعرف من هو النذل الذى يروج تلك الأقاويل ضده . أنا أردد فحسب ما أسمعه !

الـثـانـى : دب العطن فينا كلنا . المجتمع فسد . قضى الأمر . انتهى . . .

الأول : خذ هذه الأوراق للإمضاء .

الـثـانـى : حاضر .

(يأخذ معه بعض الأوراق)

(عود إلى رئيس المستخدمين ، الآن)

بروكـوبيـو : لاتخف ، ياسيدى رئيس المستخدمين . لن أقول شيئا لأحد أبدا . ثم من الذى سوف يصدقنى ، حتى لوفتحت فمى بكلمة . لازال بإمكانك أن تقاضينى بتهمة التشهير ! هل أنجزت بناء البيت ؟

الـرئـيـس : تقـريبـا . أزوج ابنتى بعـد بضـعـة أيام . إنه هدية زواجها . أرجوك أن تفهم ذلك .

بروكـويبـو : اطمئن ، ياسيدى . إنى فاهم . لدى أنا ثلاث بنات .

الـرئـيـس : انى آسف ، حـقا . لـيس باستطاعـتى أن أفـعل لك شيئا . كثرت الشـائعات ، وألقت بظلالها على الوظيفة . فاهم ؟

(يقترب منهما الثانى)

الـرئـيـس : (مغيرا لهجته) لابد أن تفهم ، ياسيد بروكويبو . البعض يشقـون فى السجون وآخـرون يبنون بيوتا ! (إلى الثانى) نعم ، ياسيد نيكاندريه .

الـثـانـى : بعض الأوراق للإمضاء . .

الـرئـيـس : هات ما عندك (يوقع . يهم الثانى بالانصراف) هيا ، ياسـيد نيكاندريه . انتظر .

الـثـانـى : تحت أمرك .

الـرئـيـس : لو لم أكن مخطئـا ، سيادتـك هو التالى فى الأقدمـية بعد السيد بروكويبو .

الـثـانـى : أجل . بالطبع .

الـرئـيـس : اعتبارا من اليوم ، ستحل فى رياسة القسم محل السيد بروكويبو بعد أن انتهت خدمته . . .

الـثـانـى : شكرا ! (إلى بروكبيو) بصـراحة ، يؤسـفنى ذلك ، ياصديقى ، غاية الأسف !

(يربت على كتفه . يمسك بروكويبو بيده ، وهو على وشك البكاء . يمضى رئيس المستخدمين ينقر بأصبعه على مكتبه بعصبية . وقد اكتسى وجهه بمسحة من القسوة والصرامة) .

ستار